Journal home page: http://rss.lagh-univ.dz/
ASJP: https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/305

مجلة العلوم الاجتماعية
المجلد 14 / العدد 02 / سبتمبر 2020 / ص ص 218 - 235

التأثيرات الاستشراقية في قراءة هشام جعيط للسيرة النبوية

Orientalist influences in the reading of Hisham Jouait Biography of the Prophet

ميلود حميدات [1] ، خديجة بن السايح
[1] جامعة الأغواط (الجزائر) ، hfarouk18@hotmail.fr
[2] جامعة الأغواط (الجزائر)

تاريخ الاستلام: 2019/06/15 تاريخ القبول: 2020/03/28 تاريخ النشر: 2020/09/13

ملخص:
نروم من هذه الدراسة تقديم رؤية هشام جعيط الجديدة للسيرة النبوية الشريفة، من خلال قراءته المعاصرة لتاريخية السيرة المحمدية وفق مفهوم حداثي، باعتباره منشغلا بالتاريخ الإسلامي ومهتما بقضايا الحداثة، ناقدا مختلف الرؤى الستاتيكية للتراث الإسلامي وتاريخيته، مستندا على أليات استشراقية بعيدة كل البعد عن نطاق التداول الاسلامي، حيث تظهر تناقضات جعيط الفكرية وازدواجيته في الطرح، ومقاربته الناقدة للفكر الاستشراقي في الظاهر، والمتماهية معه في الواقع.
كلمات مفتاحية: الاستشراق، القراءات الحداثية، السيرة النبوية.

ABSTRACT:
We aim to present Hisham Jouait's new vision of the Prophet's noble biography; through his contemporary reading of the historical biography of Muhammad according to the concept of modernity as a specialist in Islamic history and interested in issues of modernity, Criticizing the various visions of the Islamic heritage and history Based on the mechanisms of Orientalism far of Islamic trading, He appears influenced by the Orientalist vision.
Keywords: Orientalism, Modern reading, Prophet's biography.

- المؤلف المرسل: ميلود حميدات ، الايميل: hfarouk18@hotmail.fr

ISSN: 1112 - 6752 الإيداع القانوني: 66 - 2006 EISSN: 2602 - 6090

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1- مقدمة:

في ظل تصاعد المد الحداثي في العالم الإسلامي، شحذت همم المفكرين المسلمين، وارتفعت أصواتهم من أجل إعادة النظر في مجمل مكنونات التراث الإسلامي، والدعوة إلى ضرورة تجديده، فاتجهوا نحو تحديثه من خلال قراءة حداثية للنص الديني (القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة)، من أجل صياغة فهم معاصر لها يتلاءم مع مستجدات العصر.

وعليه تم إنجاز هذه المقالة لتسليط الضوء على قراءة هشام جعيط المعاصرة للسيرة النبوية. والذي تناول فيها الظروف والملابسات التاريخية والدينية لشخصية الرسول وسنته الطاهرة، زاعما التجديد في مجال السيرة المحمدية، مؤكدا على تقديم طرح مغاير مبني على منهج عقلي تفهمي، متجاوزا للسردية الاستشراقية والرؤى التراثية للسيرة النبوية الشريفة.

2- أهمية الموضوع:

تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تعمل على تسليط الضوء على السيرة النبوية في ظل الفكر الحداثي. من خلال الوقوف على قراءة هشام جعيط المعاصرة لتاريخية السيرة المحمدية، كما تعمل على إبراز خلفيته الاستشراقية وتناقضاته الفكرية إضافة الى مناقشة مقارباته المتناقضة أثناء تجديده لسيرة الرسول "ص".

3- الإشكالية:

تتمحور إشكالية هذه الدراسة حول قراءة هشام جعيط لسيرة الرسول محمد "ص" داعيا لتحديثها وتجديدها، كونه مفكرا حداثيا متخصصا في التاريخ الإسلامي ناقدا للفكر الاستشراقي والقراءات الأصولية للتراث الإسلامي، وعليه نتطرق إلى صياغة الإشكالية على النحو التالي:

- ما طبيعة القراءة الحداثية لهشام جعيط للسيرة النبوية؟
- أو بعبارة أخرى إلى مدى تأثر هشام جعيط بالفكر الاستشراقي أثناء تحديثه لتاريخية السيرة المحمدية؟

4- الدراسات السابقة:

وفيما يخص الدراسات السابقة المتصلة بموضوعنا هذا هي:

- 1/ العرابي نجاة: السيرة النبوية والقراءات المعاصرة هشام جعيط أنموذجا، رسالة ماجستير، جامعة وهران (2012-2013م).
- 2/ عباسي نوال: الفكر العربي بين الأصالة والتجديد هشام جعيط ومحمد عزيز الحبابي أنموذجا، أطروحة دكتوراه، المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر (2015-2016م).
- 3/ لطفي بن ميلاد: الاستشراق في فكر هشام جعيط، الندوة الدولية حول الاستشراق، تونس: 08-10-2009م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

5- منهجية الدراسة:

اعتمدنا في انجاز هذه الدراسة على المنهج التحليلي النقدي، من أجل إبراز المنطلقات الفكرية لمشروع هشام جعيط الحداثي لسيرة الرسول"ص". والوقوف على خلفياته الفكرية من أجل توضيح مواقفه من الفكر الاستشراقي، ونقد تناقضاته الفكرية ومنطلقاته المنهجية في فهمه الجديد للسيرة المحمدية.

5-1- موقف هشام جعيط من الاستشراق والمستشرقين:

5-1-1- مفهوم الاستشراق عند هشام جعيط:

إن تخصص هشام جعيط في مجال دراسات التاريخ الإسلامي، كان سببا جوهريا في اصطدامه بالاستشراق والمستشرقين الذين طالما اعتبروا التراث الاسلامي حكرا عليهم على حسب رأي جعيط، الذي قرر الاهتمام بالفترة الإسلامية الأولى منذ أواسط الستينات (لطفي بن ميلاد 2009 ص 131).

وهكذا عمل هشام جعيط على التجاوز والتفوق على الطرح الاستشراقي في مجال التاريخ الإسلامي. وكان تعامله الفعلي مع الاستشراق من خلال كتابه الكوفة نشأة المدينة العربية الإسلامية، حيث أولى له بابا بعنوان (الاستشراق والمدينة الإسلامية). ثم قرر بعدها الغوص أكثر في أعماق الاستشراق من خلال تحليل البنى الاستشراقية قصد فهمها، فخصص فصلا بعنوان(سيكولوجية الاستشراق) في كتابه الشهير أوربا والإسلام، الذي عبّر فيه عن جملة مفاهيمه عن الفكر الاستشراقي.

يكمن مفهوم هشام جعيط للاستشراق في كونه حركة فكرية ظهرت في أوروبا، إذ ترتكز على خلفيتين أساسيتين: أولها الخلفية المسيحية، وثانيهما النزعة الأوربية دون أن يغفل عن العلمانية الأوربية، والهدف من هذا كله في نظره هو خدمة الأساس الفكري للاستشراق، المتمثل في توجيه العداء للإسلام والمسلمين. حيث أكد جعيط على الخليفة المسيحية للاستشراق، باعتبارها محركا رئيسيا للفكر الاستشراقي قائلا: (إن أوربا التي يرجع إليها الاستشراق هي أوروبا المسيحية القروسطية) (هشام جعيط 2008 ص 41).

ذلك أن المسيحية تمثل الغرب برمته حسب اعتقاد جعيط، إضافة الى تأكيده على العلمانية باعتبارها نتاج غربي. وبذلك يصبح الاستشراق في نظر هشام جعيط موجها للعداء تجاه الإسلام، كونه يمثل عقدة المغايرة للآخر، حيث يقول: (وكأن تلك الصلة المطولة مع ثقافة أخرى تعيد له وعيه الحاد بتميزه الذي يؤكد عليه خوفا من فقدانه أو ذوبانه. هناك دوما مأساة الاتصال الثقافي...تعميمه يهدد بتفكك الأنا، وتفجير انسجامه) (هشام جعيط، 2008، ص41) لذلك ركزت الأيدولوجية الاستشراقية على الخلفية المسيحية باعتبارها تمثل الغرب على الرغم من الرؤية العلمانية له، كل ذلك كان الغرض منه النيل من الإسلام، حيث يقول جعيط: (استخدم الاستشراق المسيحية والعلمنة المعاصرة كلا بدورها لاتهام الإسلام اعتباطا إما بنقص في الروحانية وإما بالجمود الثيوقراطي). (هشام جعيط، 2008، ص ص40-41).

كما يرى جعيط أن الاستشراق تعامل مع الشرق الإسلامي، وفق النزعة الأوربية أثناء تعاطيه مع الإسلام، وتاريخه وحضارته، فالنرجسية الأوربية للاستشراق كانت واضحة خلال مقارنات غير عادلة للشرق الإسلامي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما ورد على لسانه: (أن يقوم العالم الغربي الصادق والمؤرخ الكلاسيكي بقوة ضد بعض التأكيدات الجازمة النابعة من مانوية ساذجة، تقارن بين غرب ديناميكي وشرق ملعون) (هشام جعيط، 2008، ص 41).

ويتضح جليا إصرار الفكر الاستشراقي على تقديم الشرق الإسلامي، وتصنيفه في خانة المحدودية والركود والهامشية مقارنة بالغرب المسيحي، الذي يعتبر الحلقة الأقوى في هذه المقارنة. وتماشيا مع الموقف الإستشراقي يعتبر جعيط ان الاستشراق قد فقد طابع الموضوعية بشكل كلي، نتيجة تضاعف الشعور بالأنا الأوربي قائلا: (إن الاستشراق المتطرف مع تأكيده بقوة على أوربيه جماعية يضع نفسه خارج ما هو عالمي، وخارج دينامكية الاتصال ... حتى الاستشراق الجدي ... لم ينجح في إيجاد النقطة الحساسة، التي يتم من خلالها الوصل بين داخلية الثقافة وخارجيتها.) (لطفي بن ميلاد 2009، ص 113) والقصد من ذلك كله المحافظة على الأسس الفكرية للاستشراق، التي لم يغيرها عبر مسيرته وفق رأي جعيط، فالرؤية الاستشرقية حسبه تنطلق من معاداة الإسلام والمسلمين، وللنبي محمد "ص" معتبرين (نبوته الكاذبة أوقفت تطور الإنسانية باتجاه المسيحية). (لطفي بن ميلاد، 2009، ص 120).

فظهر الاستشراق كما لو كانت مهمته الأساسية تشويه الإسلام، ومركزا على عجزه. (... إن رؤيتها لسيكولوجية الإسلام هي رؤية جامدة، أنماط إنسانية بسيطة وثابتة تنصب أمام أعيننا: العربي، المسلم، البربري، التركي ذو صفات ثابتة جدا دون شك). (هشام جعيط، 2008، ص 41).

على الرغم من ذلك يرى جعيط أن الاستشراق أخذ الطابع العلمي باعتباره قسم من أقسام المعرفة العلمية، خصوصا في مجال اللغات والفيلولوجيا والتاريخ والجغرافيا، والأدب والسيرة، إلى جانب التنقيب عن النصوص القديمة ونشرها وتحقيقها تحقيقا علميا. (هشام جعيط، 2008، ص 41).

كما يؤكد جعيط على ان هدف المستشرقين الحقيقي من وراء هذا البحث، ليس العلم فقط، بل من اجل تنافسهم على المناصب العليا في الجامعات الاوربية. (لطفي بن ميلاد، 2009، ص 120).

مصرحا أن الاستشراق قد احتكر لنفسه كل ما يخص البحث والعلم والمنهجية دون غيره من الدراسات والبحوث، خصوصا ما كتب باللغة العربية وما كتب في منطقة الشرق والعالم الإسلامي، وقد استمر هذا الأمر حتى الوقت الحاضر تقريبا (لطفي بن ميلاد، 2009، ص 121)، على حد تعبير جعيط فالاستشراق ينسب لنفسه التفوق العلمي والبحث الممنهج دون غيره.

وفي خضم تحليل هشام جعيط للظاهرة الاستشراقية، وتتبع صيرورتها صرّح بوضوح عن أفول الاستشراق وموته بعدما امتدت مسيرته لقرون، حيث كانت بدايته حسب رأي جعيط خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر (لطفي بن ميلاد، 2009، ص ص119 120) ثم واصل مسيرته حتى الفترة المعاصرة فأخذ تسميته (الاستشراق الجديد) (هشام جعيط 2008، ص 14). على حد تعبيره الذي قضى بزوال الفكر الاستشراقي بفقدانه لرونقه ومكانته بشكل نهائي (فتحدث هشام جعيط عن استشراق يحتضر ثم يموت) ويرجع ذلك في نظره لأسباب أهمها:

- إندثار وموت أغلب رجال الفكر الاستشراقي، وأكثرهم معرفة وتضلعا واطلاعا على المصادر (كجوزيف شاخت وبرنارد لويس) وغيرهم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- فقدان أوربا لمركزتها وهيمنتها على العالم خصوصا بعد انتشار المد التحرري من حركات الاستعمار الغربي، الأمر الذي تسبب في تقلص الاستشراق على اعتبار أن الاستعمار والامبريالية كانا وجها من أوجه الاستشراق المهمة الباعثة للبحث والدراسة وفق مفهوم جعيط. (محمد المازوغي، 2012، ص ص 43-44)
- فقدان الاستشراق لتوهجه العلمي نتيجة ظهور حقول علمية جديدة، أكثر فاعلية وعلمية ومنهجية كالعلوم السياسية والاجتماعية لدراسة الشرق الإسلامي العربي، من وجهة تاريخية تتضمن تاريخ الأديان (لطفي بن ميلاد، 2009، ص 121)، كما فعلت الجامعات الكبرى في الغرب، كالجامعات الأمريكية الأمر الذي أدى إلى تراجع الحركة الفكرية الاستشراقية والانصراف عنها.

5-1-2- المستشرقون في نظر جعيط:

لا تختلف نظرة جعيط للمستشرقين كثيرا عن نظرته للاستشراق، ذلك أن المستشرق قد استقى إيديولوجيته من مرتكزات الفكر الاستشراقي، القائم على النزعة المسيحية من جهة، والمركزية الأوروبية من جهة أخرى، حيث يقول: (... فالمستشرق يؤكد على نموذجية مصير أوربا)، (هشام جعيط، 2008، ص 40).

حيث عمل المستشرقون على تصدير نموذج الغرب الاوربي المسيحي كمثل أعلى يحتذى به، كما يؤكد جعيط أنه لا يوجد فارق بين نمط المستشرق الكلاسيكي، والمستشرق المعاصر فهناك نقطة تلاقي تجمع بينهما، تكمن في إيمانهما بنفس المنطلقات الفكرية القائمة على (الغربية اليائسة والمسيحية بشكل خاص تنفتح على التسامي العالمي) (هشام جعيط، 2008، ص43) ووفقا لتعبير جعيط الأمر الذي يدفع المستشرق إلى الدخول في مقارنة بائسة بين الغرب المسيحي والشرق الإسلامي، مثل المقارنة بين شخصية محمد وشخصية المسيح، (هشام جعيط، 2008، ص40)، وهذه مقارنة تفتقد للعدل تماما، حيث يظهر النبي محمد"ص" بصورة غير لائقة تماما مقارنة مع شخصية المسيح.

تعتبر نظرة هشام جعيط للمستشرق نظرة راديكالية حيث صوره مهزوزا تائها ومتشرذما، عاجزا عن تحديد وجهته الفكرية ومواقفه، فيقول: (المستشرق الذي لا يعرف في نهاية المطاف إلى أي جمهور يتوجه...) (هشام جعيط، 2008، ص 40).

و هكذا بدا الفصام واضحا لدى المستشرقين اللذين لم يتمكنوا من تحديد وجهتهم. وأي فريق يخاطبون إما الغرب الأوربي المسيحي أم الشرق الاسلامي. ثم اتجه جعيط إلى أبعد من هذا بكثير حيث وصل به الأمر إلى التقليل من شأن البعض من المستشرقين، كونهم لم يحضوا في نظره على الشهرة في بلدانهم الأصلية التي لم يكونوا معروفين فيها فيقول جعيط: (...كان لديه عدة مفكرين كبار لم يعرفوا في مجتمعهم أمثال (غولدزيهر وبيكر وفلهاوزن وماسنيون...) (هشام جعيط، 2008، ص44)، فكيف يمكن لهؤلاء الخوض في الحضارة الإسلامية وتراثها العريق، وهم ليسوا على قدر هذه المسؤولية .

بعدما قام جعيط بتحليل سيكولوجي للاستشراق والمستشرقين، خلص إلى تصنيفهم على النحو التالي:

- مستشرقون شديدو التعصب للمسيحية مثل (رينان ودوزي ولامانس).
- مستشرقو الفترة الاستعمارية مثل (غولدزيهر وبيكر وسنوك هو غرونج) (لطفي بن ميلاد، 2009، ص 133).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالنسبة للصنف الأول من المستشرقين فيمثلون (أسياد الجريمة كرينان ولامنس ودوزي) (محمد المازوغي، 2012، ص 53) وفقا لرأي جعيط الذي لم يأت من فراغ، بل كان نتيجة ظلمهم وتجنيهم على الحضارة الإسلامية ومواقفهم التعسفية إزاء التاريخ الإسلامي. فأما بالنسبة (لرينان) فيدخل ضمن المستشرقين العنصريين اتجاه الإسلام والمسلمين، فهو لم يتوان من التقليل من شأنهم فيقول:(عبودية الفكر الشرقي وعن صد تطور العلوم في بلاد الشرق)(هشام جعيط، 2008، ص 34).

فالمستشرق رينان كان قاسيا وغير عادل في مسألة التعامل مع الإسلام، في مجال تطوره الثقافي والفكري للمسلمين (هشام جعيط، 2008، ص 39). وحصر كل ما له علاقة بالإنتاج العلمي والفكري داخل دائرة الغرب، أما بالنسبة للمستشرق (لامنس) فاعتبر جعيط أن تعامله مع الإسلام تميز بمكر واسع، لا يقل خطورة على من سبقه، وشرح جعيط هذا التصرف في قوله: (نفى الإسلام خارج ذاته) (هشام جعيط، 2008، ص 42).

وبذلك يحصر الإسلام داخل الصحراء والبادية باعتبارها حدودا له، كما كان (لامنس) متعاطفا مع القوى المعادية للإسلام كما ورد في قوله: (على غرار الأمويين ممثلي الأرستقراطية المعادية للإسلام). (محمد المازوغي، 2012، ص 53)، ذلك ان انتصار الإسلام ينعكس بشكل سلبي على الامتداد المسيحي في الشرق الإسلامي، وهذا الموقف ينم عن عداء واضح للإسلام.

أما بالنسبة للمستشرق الهولندي (دوزي) فقد أعاب عليه جعيط قضية مقتلة الحرة باعتبارها (رد فعل المبدأ الوثني ضد المبدأ الإسلامي) (هشام جعيط، 2008، ص 42)، حيث يحلل قمع أهل المدينة من طرف معاوية، ويبرز الإسلام وفق صورة همجية دموية.

أما الصنف الثاني من المستشرقين الذين ينتمون للفترة الاستعمارية، أمثال المستشرق المجري (غولدزيهر) فيؤكد جعيط على سلبية مواقفه اتجاه الإسلام، من خلال كتاباته التي روجت لصورة قاتمة عن الدين الإسلامي، الذي وصفه بالعدوانية والتطرف خلال مسيرته التي خاضها، ويرى أن السبب وراء تطرف الإسلام يرجع إلى طبيعة العقلية العربية، والفكر العربي القائم على العدوانية، باعتباره دين حرب، يعمل على تحقيق الطموحات السياسية وفق حد السيف مما جعله يأخذ طابع الدموية والتطرف. (لطفي بن ميلاد، 2009، ص 143)

ولم يختلف المستشرق الهولندي (سنوك هرغرونج) عن نظيره (غولدزيهر) وفق رأي جعيط، فتتلخص آرائه حول الإسلام كدين سياسي (ذو مزاج عصبي حساس منحرف) (لطفي بن ميلاد، 2009، ص 134) قصد إبراز الإسلام كدين قائم على الصراع والتعصب.

كما يرى جعيط أن المستشرق (بيكر) كان مجحفا حين (قلص الثقافة الإسلامية إلى هلينية آسيوية شيئا فشيئا)، (لطفي بن ميلاد، 2009، ص 135).

إضافة إلى التطرق للعديد من المستشرقين حتى مستشرقي الفترة المعاصرة، لم يخرجوا من دائرة التشويه، والهرطقة أثناء تعاطيهم مع تاريخ الحضارة الإسلامية، وتراثها الفكري والديني.

- وعلى الرغم من ذلك استثنى جعيط المستشرق الفرنسي(جاك بارك) من دائرة الاتهام تلك لاعتباره مستشرقا مختلفا تماما، إذ لا ينتمي للفئات السابقة، ويستحق الاعجاب والتقدير والاحترام، حيث تعبر أفكاره عن عقل كبير

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفكر متفتح، الأمر الذي جعله يحضى بكم كبير من الإطراء والتمجيد من طرف جعيط فيقول: (...الرجل أنتج الكثير، ومجالات اهتماماته قد اتسعت لتشمل أقصى المغرب إلى أقصى المشرق...إنه عمل رائع ومجد أيضا للفكر الاستشراقي.) (محمد المازوغي، 2012، ص 73).

صنف جعيط (جاك بارك) كإنتروبولوجي وسيسيولوجي، ليكون بذلك قد تجاوز الاستشراق الكلاسيكي الحاقد على الإسلام لأنه اتجه إلى دراسة الحقبة المعاصرة التي شهدت المد الاستعماري، (محمد المازوغي، 2012، ص ص72 73) ويمكن تفسير اعجاب جعيط بشخصية (جاك بارك) لابتعاده عن مجال مقدسات الإسلام من قرآن كريم وسنة نبوية باعتبارها خطوط حمراء وجب مراعاتها، ويكون بذلك قد استثنى نفسه من المستشرقين الحاقدين على الدين الإسلامي أمثال (شاخت وغولدزيهر) وغيرهم.

5-1-3- نفي تهمة الاستشراق وادعاء التجديد:

خاض هشام جعيط غمار القراءات الحداثية للنص الديني رافعا شعار التجديد، في مجال السيرة النبوية، وذلك وفق إعادة قراءتها وفهمها فهما حداثيا معاصرا، كونه مؤرخا مختصا في التاريخ الإسلامي. لكن ما يمكن ملاحظته يكمن في كثرة الوعود التي تعهد بها جعيط، مؤكدا من خلالها على أصالة طرحه وجدة استنتاجاته لاجتناب مجمل التهم التي يمكن أن تطاله. حيث يعتبر الاستشراق اول التهم جاهزية واشهرها على الاطلاق، إذ يحاول مجمل القراء الحداثيين التخلص منها مسبقا كنوع من الدفاع عن تميز ابحاثهم وأصالتها. فعلى غرار جعيط نجد محمد أركون ينتقد الفكر الاستشراقي مؤكدا على هزالة مناهجه في مجال الإسلاميات التطبيقية الذي أبدع فيها، بعيدا كل البعد عن أي أراء استشراقية، الأمر الذي دفع (بأركون وهاشم صالح بنعت المستشرقين بالتعجرف والوقاحة والثقة المفرطة بالنفس.) (محمد المازوغي، 2012، ص ص5-6).

إلى جانب الجابري الذي سعى هو الأخر الى التملص من شبهة الاستشراق رغم إعجابه بهم فيقول: (أؤكد اليوم كما أكدت بالأمس عند ما سئلت عن مدى حضور فكر المستشرقين فيما كتبت، أؤكد أنني أبذل كل جهدي عندما أشرع في التفكير والكتابة في موضوع ما لأنسى جميع ما كتب في الموضوع.) (إبراهيم السكران، 2014، ص 74).

يظهر تملص هشام جعيط من الاستشراق واضحا جليا في ثلاثية السيرة النبوية، التي عكف على دراستها طوال سنين عدة، الأمر الذي جعله يسارع في نفي أي صلة يمكن أن تجمعه بالفكر الاستشراقي. مما دفعه إلى التنكر سلفا من تهمة الاستشراق، فافتتح مقدماته لثلاثية السيرة النبوية وكأنه يُقْسِم على تميز قراءته على مجمل ما طرح من قبل في مجال السيرة النبوية، حيث ابدى حرصه الشديد على تأكيد أصالة بحثه المتمثل في مشروع السيرة النبوية جازما في الوقت عينه أنه قد تجاوز كل الترهات الاستشراقية، معتمدا على رؤية خاصة به، والتي لا يمكنها أن تحاكي النموذج الاستشراقي لا من بعيد ولا من قريب.

ففي الجزء الأول من مشروع ثلاثية السيرة الذي أصدره سنة 1999 الموسوم بالوحي والقرآن والنبوة، عكف جعيط في مقدمته على تأكيده على تفرده البحثي والمنهجي الذي عالج عن طريقه سيرة الرسول محمد "ص" قائلا: (ولقد حاولنا في هذا الكتاب الاعتماد على المعرفة، واعتماد منهج عقلاني تفهمي لم نجده لا عند المسلمين القدامى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من أصل السير والتاريخ الحديث، ولا عند المسلمين المعاصرين، وأكثر من ذلك إن المستشرقين على سعة إطلاعهم لم يأتوا ببحث يذكر في هذا الميدان وتبقى دراستهم هزيلة...) (هشام جعيط ، 1999، ص 12).

ثم انطلق في مقدمة للجزء الثاني الموسوم بتاريخية الدعوة المحمدية في مكة، هذا الجزء الذي تناول خلاله سيرة النبي محمد قبل البعثة وبعدها، الأمر الذي جعل مقدمة هذا الجزء كأنها عهد قطعه جعيط على نفسه واعدا به القراء والمفكرين، بأنه سعى لتقديم بحث تطبعه الجدة والأصالة، نافيا كل صلة يمكن أن تجمعه بالخلفية الاستشراقية التي تجاوزها فيقول: (إن ما سنحاوله ها هنا هو إعطاء نظرة أنتروبولوجية للثقافة العربية قبل الإسلام أولا ... جاهدين في تجاوز بعض تناقضات المستشرقين... لا تلتزم أعمال المستشرقين بالانسجام المنطقي فإما تنفي قيمة خبر ما، وإما تمنحه الثقة الكاملة ... وإما الدخول في قصص وترهات.) (هشام جعيط، 2008، ص15).

ذلك أن أعمال المستشرقين لا ترتقي أصلا لمكانة البحث العلمي حسب جعيط، سواءا الاستشراق الكلاسيكي ولا حتى المعاصر. خصوصا أن جعيط ذكر في مقدمته في هذا الجزء، أنه طرق موضوع السيرة النبوية من زاوية لم يتطرق لها الاستشراق عبر مسيرته الطويلة في دراسته للتراث الإسلامي. مصرا على تفرد طرحه كما ورد على لسانه: (وكم جرحنا من بعض كتابات المستشرقين الذين سمحوا لأنفسهم أن يسلطوا الضوء على شخصية محمد، من وجهة نظر أخلاقية أو دينية ومن بين هؤلاء من هم علماء مثل (تور اندري)، الذي كتب كتابا معمقا قيما عن الرسول ليختمه بصورة قاتمة عن شخصيته، ومنهم من كتب من موقع ايدلوجي معين كأن يكون مسيحيا أو ماركسيا.) (هشام جعيط، 2008، ص6).

يرى جعيط أن هناك جمع من المستشرقين تناولوا السيرة النبوية بالدراسة والتحليل، وفق مجالات مختلفة مثل (نولدكه وبلاشير غولدزيهر وشاخت) (هشام جعيط، 2008، ص6).

وعلى الرغم أنهم من كبار المستشرقين الإسلاميين إلا أن ما قدموه لا يرتقي لمنهجية البحث الصحيح، وينطبق الأمر نفسه على الاستشراق الأكاديمي الذي أضفى عليه طابع العبثية والضيق الفكري، من حيث طرق البحث والطرح، مرورا بالاستشراق الأنجلوسكسوني، الذي نعته جعيط بالهرطقة لاحتوائه على الخرافات إلى جانب الاستشراق الجديد الذي حكم عليه بالقصور المنهجي التاريخي. (هشام جعيط، 2008، ص ص 10-14).

وهكذا يظهر الاستشراق قاصرا عن تقديم أي معرفة جدية في مجال المقدسات الإسلامية، ويفقد بذلك طابع الموضوعية في الدراسة، السبب الذي أدى بجعيط أن ينئ بنفسه عن دائرة شبهة الفكر الاستشراقي، ليبدع الجديد في موضوع السيرة.

أما الجزء الثالث من سلسلة السيرة النبوية فكانت بعنوان مسيرة محمد في المدينة، وانتصار الإسلام. إذ واصل هشام جعيط نفي شبهة التأثر بالفكر الاستشراقي، فلم تخل مقدمة هذا الجزء من وسم دراسته للتراث الإسلامي بالجدة، وفق رؤى متفتحة ومناهج عقلية تفهميه نقدية. لكنه لم يصرح بالأمر مثلما فعل في الجزئين الأول والثاني، ففضل الأسلوب غير المباشر ليوضح مقاصده التي يرمي الوصول إليها في الجزء الثالث، قائلا: (لقد عرضت هنا مخططا عاما لمسيرة محمد في المدينة ليتوضح مقالي، وسأحاول في مجرى الكتاب تحليل وتشريح البنى، ساعيا إلى جعله مفهوما بالعقل معولا على المصادر ونقدها...وإخضاعها لقانون الحقيقة الواقعة مشككا في الكثير من تأكيدها وثوابتها... ففي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السير هناك خيال دافق وتفاصيل غير مقنعة، وفق ذلك غير مجدية لفهم الأمور)، (هشام جعيط، (د.ت)، ص ص15-16).

حيث يؤكد على تقديم قراءة واعدة تدل على طرحه الجدي والجديد، واختلافه عن كل من سبقه في هذا المجال، ولكن السؤال المطروح هنا هل سيكون هشام جعيط وفيا لعهده هذا؟

2-5- أثر الفكر الاستشراقي في قراءة جعيط للسيرة النبوية والحديث الشريف:

1-2-5- تاريخية الرسول محمد "ص" و اقع نسبه وأصل تسميته:

1-1-2-5- قراءة جعيط لنسب الرسول "ص":

تكلم جعيط عن نسب رسول الله ولم يختلف كثيرا مع ما هو موجود في السِّير من حيث تسلسل نسبه الشريف لكن سرعان ما تغيرت الكثير من الحقائق، عندما بدأ بتطبيق ما اسماه منهج الصرامة الذي يدعيه، هكذا بدأت رؤيته تتجه نحو ما أنتجه المستشرقون حول السنة النبوية الشريفة، حيث قدم شخصية قصي جد الرسول بصورة باهتة كما فعل نظرائه من المستشرقين، فهو يرى المصادر قد ضخمت دور شخصية قصي لا لشيء إلا أنه جد للرسول "ص" (هشام جعيط، 2008، ص 119)، حيث نسبت إليه أدوار كبرى معظمها يدخل في نطاق الأساطير، حسب رأي جعيط الذي أرجع هذا الصيت الذي حاز عليه قصي لأنه جد للرسول، فيقول: (ما هو أكثر استغرابا بالنسبة للمؤرخ، هو أن الجد الأول والحفيد محمد قاما الواحد تلوى الآخر، بعد مرور قرن ونيف بأدوار تأسيسية ذات قيمة عليا). (هشام جعيط، 2008، ص 119)، علما ان الحقائق التاريخية اثبتت ان قصي كان سيد من سادات قريش.

لم يتوقف جعيط عند هذا الحد، بل تطرق أيضا لشخصية عبد الله والد الرسول محمد "ص" تلك الشخصية التي لم تسلم من منهج جعيط العقلاني والصارم في رأيه، والواضح أن أطروحات هشام جعيط لم تختلف عن المنتوج الاستشراقي في مجال السنة، بل نجده يدور في فلك المستشرقين من حيث التحليل والتركيب، وحتى الاستنتاجات فيؤكد لنا جعيط أن اسم والد الرسول محمد لم يكن (عبد الله) فالاسم الحقيقي بعيد كل البعد عن هذا فيقول:(فالراجح عندي أنا أبا محمد لم يكن اسمه عبد الله وإنما له اسم آخر.) (هشام جعيط، 2008، ص 146).

ويرجع جعيط السبب الى القاعدة القرشية تقول حسب رأيه (أن أسماء الآباء والأجداد والأعمام تتكرر بين الأجيال، فكل الأسماء المقرونة بالآلهة في عائلة النبي "ص" عبد مناف وعبد العزى وعبد شمس، أما عبد الله فلم يكن في المتداول عندهم). (هشام جعيط، 2008، ص 146).

وهذه رؤية استشراقية بامتياز، حيث ذهب بعض المستشرقين إلى الطعن في حقيقة اسم والد الرسول (عبد الله)، بل كان يحمل اسم من بين الاسماء الوثنية، (جواد علي، 1961، ص 116). التي أشار اليها جعيط من قبل.

لكن ما ورد في السير يوضح عكس ذلك، حيث اكدت ان عبد الله هو الاسم الاصلي لوالد الرسول محمد "ص" فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هشام بن عبد مناف...الخ، (جواد علي، 1961، ص 115).

ذلك أن اسم عبد الله وجد عند العرب في الفترة الجاهلية، وكان ضمن الأسماء الواردة في الكتابات الجاهلية والشمالية والنصوص النبطية. (جواد علي، 1961، ص 116).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والحجة الثانية التي اعتمد عليها جعيط في إنكار اسم عبد الله كاسم حقيقي لأب الرسول، فهي حجة استشراقية مؤكدة، فهو يرى أن الراجح من أن محمد "ص" قد غير اسم والده بعد الإسلام للتخلص من أسماء العهد الوثني كما فعل مختلف الصحابة بعد الإسلام، ذلك أن جعيط يستبعد عبد الله تماما فيقول:(وتكون الصدفة كبيرة أن يكون اسم أب الرسول عبد الله، فالمعقول أنه هو الذي سماه بهذا الاسم.). (هشام جعيط، 2008، ص 146).

هذه الفكرة نفسها طرحها المستشرقون مشككين في حقائق اسم والد الرسول، زاعمين أن اسم عبد الله وهو اسم أطلقه الرسول محمد "ص" على أبيه، فقام بإعادة تسميته إلى عبد الله، ويرجعون ذلك للقاعدة الإسلامية التي تعمل على تحويل أسماء الجاهلية، إلى أسماء إسلامية. (جواد علي، 1961، ص 116).

وبذلك يعيد جعيط إنتاج المستشرقين وما ورد لديهم في مجال السيرة حيث اشتهر المستشرقان ("كايتاني" و"شبرنكر") في تزوير حقائق سيرة الرسول محمد "ص" وتشويهها، حيث كانا يعتمدان على رواة السير الضعفاء والمتروكين في بناء آرائهم ومواقفهم، من أجل الطعن في الرسول ونسبه وتاريخه. (جواد علي، 1961، ص 119).

ولم يكن جعيط ببعيد عما ذهب اليه من مواقف واحكام ومناهج وحتى الاستنتاجات، فلم تصل قراءته الحداثية ومناهجه المعاصرة إلى جديد، غير استهلاك الفكر الاستشراقي المشوه لسيرة الرسول والطعن فيها.

5-2-1-2- تاريخية مولد الرسول "ص" وبعثته:

مما هو متداول في السير أن ميلاد الرسول محمد "ص" كان حوالي 570 و571 م، لكن جعيط لم يثق في كل ما ورد عن أخبار ميلاد الرسول حول هذا التاريخ، وحتى ما يتعلق بهجمة أبرهة، ولم تختلف مزاعم جعيط حول التشكيك في حقيقة مولد الرسول"ص" عن مزاعم المستشرقين الذين انتقدهم في مواطن سابقة كما وضحنا ذلك في الحديث عن آراء جعيط حول المستشرقين، ومن الغريب أن نجد هشام جعيط ينحو نحوهم في أرخنة السيرة النبوية، وهو الذي امتعض من هزالة طرحهم.

يرى جعيط أنه:(لم يولد محمد في رأيي قبل 580م أو حواليها أو بعدها، وكل ما ذكر عن سنة 570م لا يصمد أمام الفحص) (هشام جعيط، 2008، ص 143).

إن مزاعم جعيط هذه لم تأت من فراغ حيث سبقه إليه عدد من المستشرقين، فقد شكك المستشرق (بروكلمان) من قبل في حقيقة تاريخ مولد الرسول رافضا اخبار السير التي ميزت مولد النبي محمد كواقعة الفيل، كما استبعد ان تكون سنة 570م تاريخا مضبوطا يحدد مولده، وقد أحال فكرته هذه إلى المستشرق (لامنس) (عبد الله محمد الأمين النعيم، 1997، ص58).

الذي طعن هو الاخر في عدد من تواريخ السيرة لغرض التدليس والتشكيك، لتضليل حقائقها إضافة إلى المستشرق (منتغمري وات) الذي رفض كل الروايات الإسلامية المتعلقة بحياة الرسول "ص" قبل البعثة لأنها غير موثوقة في رأيه ومحرفة لآراء فقهية فيقول:(...القارئ يجد نفسه إزاء أرضية مهزوزة لوقائع هذا المد الزمني الذي يبلغ ربع قرن بين الميلاد والزواج .)(عبد الله محمد الأمين النعيم، 1997، ص60).

لم يذهب جعيط ببعيد عما طرحه المستشرقين حول ملابسات ميلاد الرسول "ص" حيث استبعد هو الاخر تزامن مولد النبي مع عام الفيل فيقول: (ولا يوجد أي سبب لكي يولد محمد على أية حال عام الفيل.) (هشام جعيط،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2008، ص 143.). فهو يرى ان هذه التواريخ لا تصمد امام النقد التاريخي. كما شكك في صحة التواريخ المذكورة عن عام الفيل إضافة الى طعنه في حقيقة حدوثه. وهكذا يصبح تاريخ مولد الرسول "ص" مبهما تماما في نظره، وهذا ما أكده المستشرق (وليم موير) الذي رفض أن يكون ميلاد الرسول متزامنا مع عام الفيل، مقللا من قيمة المصادر الإسلامية التي فشلت في رأيه في سَلْسَلة الأحداث قائلا: (ما اشتملت عليه المصادر من أخبار هذه المرحلة، ليست له قيمة كبيرة في معرفة صورة محمد التاريخية.) (غالية يونس محمد الذرعاني، 2010م، ص120).

وتتواصل هرطقات جعيط الاستشراقية في مجال السيرة لتعبر عن فكره المتناقض الرافض والناقد للاستشراق والمتأثر به في ذات الوقت، فنجده يؤسس لفرية استشراقية ويؤكدها من خلال ما توصلت إليه قراءته الحداثية للسيرة النبوية، حيث زعم جعيط أن تاريخ بعثة الرسول لم تكن في سن الأربعين، إلا أن هذا الرأي يناقض حسب طرحه مع الصرامة التامة للمنهج، والسبب في رأيه هو أن سن الأربعين هو سن الشيخوخة وليس سن الكهولة في ذلك الزمن (هشام جعيط، 2008، ص 143). على الرغم من وجود آية صريحة تدعم صحة الخبر لقوله تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ) الأحقاف الآية: 15، (هشام جعيط، 2008، ص 143). إلا أنه يرى أن هذه الآية دليل غير كاف للجزم على صحته، فقراءته النقدية لتارخية السير احالته الى سبب أكثر منطقية وواقعية في نظره، حيث يرجع الاعتقاد بسن الأربعين يكمن وراءه اعتقاد من معنى ديني سحري لدى الساميين، مستغربا من إشارة القرآن لهذا الرقم العمري، وهذا تلفيق بيّن حيث يقول: (رأيي أن كتب السّير زيادة على ما شحنت به من سن الأربعين معنى ديني سحري)(هشام جعيط، 2008، ص 144).

ومن الواضح ان منهجية جعيط في هذا الصدد قائمة على اعتماد صريح على توكيد استشراقي متمثل في المنهج الفيولولوجي، حيث صرح أنه اعتمد على هذه الآية، لكي يبرر موقفه: (قَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ) يونس الآية: 16، (هشام جعيط، 2008، ص 144).

ثم بدأ يحلل ويفكك كلمة العمر الذي أرجعها وفسرها تفسيرا فلسفيا نسبة لآراء (هيراقليطس) بالرغم من الفرق الكبير بين البيئة اليونانية والبيئة القرشية المكية، إذ كان الغرض من ذلك الطعن في صحة سن الأربعين، لكي يقرر جعيط أن النبي محمد بعث في سن الثلاثين نسبة إلى المسيح الذي بعث في الثلاثين أيضا، (هشام جعيط، 2008، ص 144.) علما أن هذه النتائج التي توصل إليها جعيط عبر دراسة وتمحيص، كما ورد في تصريحاته فقد سبقه إليها المستشرق (لامنس) الذي نقض النص الشرعي فيما يخص عمر النبي أثناء الدعوة، فيرى أن محمدا لم يبعث في سن الأربعين، حيث رجح أن عمر النبي الحقيقي أثناء البعثة كان ثلاثون سنة، ويقول: (... ويخرج إلى القول انه مادام الأنبياء يبعثون على رأس الأربعين، ومحمد قد صدع بالدعوة على رأس الثلاثين، فمحمد ليس نبيا.) (عبد الله محمد الأمين النعيم، 1997، ص58).

ثم يصل جعيط بعد شرحه المتواصل في نقض النص الشرعي في هذه المسألة إلى النتيجة التي تتفق مع (لامنس) في قضية سن بعث الرسول "ص" فيقول جعيط: (رأيي أن محمدا بعث في الثلاثين أو حتى قبل ذلك، ولم يولد إلا حوالي 580 م ولم يعش إلا خمسين سنة ونيف.)(هشام جعيط، 2008، ص 144).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهكذا يتضح جليا أن هشام جعيط لم يأت بجديد في قراءته لتاريخ السيرة النبوية الشريفة، وكل ما قام به هو إعادة انتاج للفكر الاستشراقي المجحف، لتدليس السيرة المحمدية، على الرغم من انتقاداته المتواصلة للمنهج الاستشراقي والرؤية الاستشراقية.

وقد ورد في المواهب اللدنية بالمنح المحمدية أن بعثة الرسول محمد "ص" كانت في سن الأربعين (أحمد بن محمد القطلاني، 2004، ص195.)، فقد تواردت مختلف السير والاخبار مسالة عمر النبي وقت البعثة فاجتمعت كلها على هذا الخبر كونه مؤكدا شرعا، اما فيما يخص مسالة أن عمر الأربعين المقترن بالشيخوخة على حسب مزاعم جعيط، فهذا طرح غير مقبول تماما، لأنه سن يبلغ فيها الانسان أشده وقوته كما أشار اليها القران الكريم.

5-2-2- اكذوبة قُثم:

خرج هشام جعيط على العالم الإسلامي في الالفية الثالثة ليطرح ابداعاته وجديد قراءته المعاصرة للسيرة النبوية زاعما انه أحدث فتحا مستحدثا في تاريخية حياة النبي عليه الصلاة والسلام، حيث صرح بكل ثقة ان قُثم هو الاسم الاصلي للرسول محمد "ص" الذي سمي به لحظة ولادته، والسؤال المطروح هنا كيف يجرأ السيد جعيط ان يقدم على هذا الفعل دون بحث وتمحيص، فحقيقة الأمر ان ما قدمه جعيط ما هو إلا اكذوبة استشراقية وطرح متعنّت، قام الباحثون المؤرخون والمفكرون بتفنيده منذ مطلع ستينات القرن الماضي. حيث عمل المؤرخ العراقي جواد علي في موسوعته تاريخ العرب قبل الاسلام على تفنيدها ودحضها. وقد مر على ذلك قرابة الستون عاما، ليأتي هشام جعيط ويعيد صياغتها الاستشراقية بحذافيرها ويطرحها في كتابه الموسوم بتاريخية الدعوة المحمدية في مكة، فصرح قائلا وبكل ثقة في نفسه: (... وهكذا يكون اسم النبي أصلي هو قُثم) (هشام جعيط، 2008، ص 147)، زاعما أنه وصل لهذه النتيجة بعد فحص للمصادر وتطبيق منهجية علمية صارمة، وليبين جعيط صحة ادعائه اعتمد على الحجج التالية:

- يرى جعيط أن اسم الرسول"ص" لم يكن محمدا لحظة ولادته، بل جاء في مراحل متأخرة من الدعوة واعتمد في ذلك على سرد الآيات من السور المدنية التي ورد فيها اسم محمد وهي: (مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ) من سورة الفتح، وسورة آل عمران (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ)، وسورة الأحزاب (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ)، وسورة محمد (وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ)، وسورة الصف المدنية التي ذكر اسم أحمد لقوله تعالى: (وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ)، وهكذا يستنتج جعيط مباشرة أن اسم محمد لم يرد في المرحلة المكية من البعث، فيقول:(تسمية محمد لا ترد في القرآن إلا في الفترة المدنية من نزول الوحي)، (هشام جعيط، 2008، ص 147).

وتبعا لذلك جزم جزما قاطعا أن اسم محمد لم يكن اسم الرسول "ص" لحظة ولادته، وهذه النتيجة التي توصلها لها جعيط بعد استقراء النصوص، وقد دحضها المؤرخ جواد علي منذ ستينات القرن الماضي، حيث فند أطروحات المستشرقين الذين كان لهم السبق في اسم قثم كاسم اصلي للرسول لحظة ولادته وقبل بعثته، فاعتمدوا على السور المدنية الأربعة التي أكدوا من خلالها أن اسم الرسول ليس محمدا لحظة الولادة، فمحمد مجرد اسم أطلقه محمد على نفسه بعد البعثة، حيث استند جعيط في بناء مواقفه وتحليلاته المشككة في حقيقة اسم النبي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

علي التراث الاستشراقي لكي يثبت أن اسم الرسول الحقيقي هو قُثم. وقد رجح جعيط ذلك معتمدا على البلاذري أنساب وأشراف بخصوص قوله: (عبد الله ويكنى بأبا قُثم ويقال أبا محمد) مؤكدا على الكنية أبا قُثم والسبب في آرائه قد يكون سماه جده عبد المطلب على ابن له متوفى اسمه قُثم (وسمي العباس ابن له بقُثم لأن لقب محمد نزع الاسم الأصلي للرسول) (هشام جعيط، 2008، ص 149).

زعم هشام جعيط انه قام بفحص مختلف المصادر وللنصوص فحصا نقديا ممنهجا، الا ان الحقيقة تشير الى العكس، حيث صرح البلاذري بأن هذا الحديث ضعيف فقد ورد في تاريخ العرب في الإسلام أثناء حديث البلاذري عن عبد الله بن عبد المطلب، ذكر الحديث السابق وأشار إلى ضعفه، ويذكر جواد على أن هؤلاء المستشرقين الذين شككوا في حقيقة النبي قد استندوا إلى خبر ورد في كتاب إنسان العيون ففي سيرة أمين المأمون، المعروف بالسير الحلبية وهذا نصه (وفي الامتاع: لما مات قُثم بن عبد المطلب قبل مولد رسول الله "ص" سماه قُثم حتى أخبرته آمنة أنها رأت في منامها تسمية محمد فسماه محمد)، ورد في السير الحلبية باب تسمية محمد "ص".(جواد علي، 1961، ص ص 98-101). والخبر هذا ضعيف وقد أشار صاحب السير الحلبية نفسه إلى ضعفه، حيث أنه لا يوثق به كما أنه لم يعبأ به كبار الرواة لضعفه مما يدل على عدم صحته. (جواد علي، 1961، ص 98).

ومما هو معروف عن المستشرقين أنهم لم يكترثوا بصحة الخبر والحديث أو ضعفه، المهم عندهم هو التلفيق على حسب ما تقتضيه نزعاتهم واهوائهم، الأمر نفسه ينطبق على جعيط الذي اعتمد في طرحه هذا على حديث ضعيف وخبر غير موثوق فيه واتخذ منه حكما، فوضع نفسه مع المستشرقين في كفة واحدة، حيث اثار المستشرق الإيطالي (كيتاني)، نفس القضية مستبعدا اسم محمد كاسم حقيقي للرسول مؤكدا أنه ليس الاسم الحقيقي الذي أطلق عليه ساعة ولادته وحكم بذلك نتيجة اطلاعه على أصل السير والأخبار (السير الحلبية) خاصة أن اسم محمد قد ورد في القرآن ولم يرد في سير وفق نظر (كيتاني)، إضافة إلى المستشرق النمساوي (ألويس شبرنكر) رفض هو الاخر أن يكون اسم النبي محمد نتيجة لاطلاعه على السير الحلبية التي تم تأكيد أنها ضعيفة لا ينبغي الأخذ بها. (جواد علي، 1961، ص 98).

يرى جعيط أن محمدا ليس اسما للرسول بل هو عبارة عن صفة أو لقب لأنه نادر الوجود عند العرب، وقد رجح انه مجرد محاكاة وتقليدا من طرف الرسول للمسيح الذي يعتبر هو الآخر مجرد لقب أو صفة، وزيادة على اسمه الأصلي عيسى، وهكذا فإن محمدا ما هو إلا صفة أو كنية مقصودا بها الرفعة أو إضفاء نوع من الفخامة لشخصية الرسول "ص"، حيث يقول: (ومحمد لقب وليس باسم، واللقب صفة تلصق بالشخص، وهكذا... قلب محمد إضافة إلى فخامة دنيوية يكسب النبي مقاما رفيعا في سيرورة الدين.) (هشام جعيط، 2008، ص 148). والغريب هنا أن جعيط يحيل القارئ هنا إلى المستشرق (نولدكه).

رفض عدد من المستشرقين حقيقة اسم الرسول محمد رفضا قاطعا، بكونه لا يعدو ان يكون صفة او كنية للنبي ليس إلا، فنجد كل من المستشرق الانجليزي (بودلي) مؤلف كتاب (الرسول: حياة محمد) والمستشرق ("درمنغم") وغيرهم يسعون الي إثبات هذه المسالة زاعمين أن اسم محمد مجرد لقب أو صفة أطلقها محمد على نفسه، حيث

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أظهروا تخبطات واضحة في اسم الرسول حيث وصل تطرف المستشرق (بودلي) الى اعتبار أن لفظة محمد هي Namme معناها الأصنام مستقاة من كلمة Mume بمعنى المجون. (نذير حمدان، 1981، ص ص165-166).

كما يرى جعيط أن اسم محمد ليس اسما عربيا، بل أرجع أصوله إلى السريانية وصرح بأنه يثبت في المصادر التي اعتمد عليها التي ترجع حقيقتها إلى المستشرق ("نولدكه") قائلا:(إن عبارة محمد مأخوذة عن السريانية فهو مما لا شك فيه ولنا حجة المصادر التي وردت بلقبي البطريق الفيلاركس الرسمين يقول نودلكه.) (هشام جعيط، 2008، ص 148.) وفي نفس الصدد نجد المستشرق الفرنسي (بارتيملي وهوبلو) يزعم أن اسم محمد مأخوذ من التلمود أطلقه على النبي اليهود الذين أسلموا (أكرم ضياء العمري،(د.ت)، ص7.) لقد سعى كل من جعيط ومجموعة المستشرقين إلى نفي اسم محمد على النبي جملة وتفصيلا.

كما ذكر جواد علي أن بعض المستشرقين أرجعوا اسم محمد إلى أصول مسيحية من الإنجيل حيث وردت أن المنحمنا في الإنجيل السريانية ووردت (منحيم، مناحيم في العبرانية)، وكلها عبارة عن صفات نعت بها العبرانيون المسيح، وهذا زعمه جعيط أيضا في مسألة محاكات المسيحية. (جواد علي1961، ص 106).

يواصل جعيط هرطقاته معتبرا أن اسم محمد السرياني يدخل في نطاق ما يسمى (بالباركليس) وهي عبارة تفيد التفخيم والرفعة اقتفاها النبي حسب جعيط من المسيحية واتخذها كصفة في المدينة، هو من تراث المسيحية والمانوية، (هشام جعيط، 2008، ص 148). حتى أخذ بها طابعا دينيا على اعتبار أن النبي كان يسعى الى الرفعة بين القوم وتفخيم مكانته، وهذا زعم استشراقي حيث ورد في تاريخ العرب في الإسلام أن بعض المستشرقين (جواد علي، 1961، ص 97.) أكدوا أن الرسول يحسن اليونانية واتخذ اسمه محمدا من الباركليتس أو البارقليط الوارد في الإنجيل يوحنا بترجمة (منحمانا، محمنا) في الأرامية التي اتخذها المسيح (محمد بن يوسف الصالحي، 1997، ص 506.) لكسب الرفعة بين القوم والخروج من الضلالة.

وهكذا يتوضح لنا ان كل مزاعم جعيط حول أكذوبة قُثم ترجع الى أصول استشراقية خالصة، من حيث المقدمات والحجج والاستنتاجات وقد أكدت مختلف السير بطلان هذه الفرية.

فقد ورد في سبل الهدي والرشاد بأنه (لما وضعت آمنة حملها بعثت إلى عبد المطلب عند الكعبة تخبره أنه ولد غلام ... وأسرع إلى زوج ابنه، وأخذ طفلها بين يديه وسار حتى الكعبة وسماه محمدا).

كما جاء في المواهب اللدنية بالمنح المحمدية " أن أشهر أسمائه "ص" محمدا وبه سماه جده عبد المطلب وذلك أنه لما قيل له ما سميت ولدك؟ فقال محمدا فقيل كيف سميته باسم ليس لأحد من آبائك وقومك؟ فقال لأني أرجو أن يحمده أهل الأرض". (أحمد بن محمد القطلاني، 2010، ص11).

يبدو أن جعيط والمستشرقين قد قلبوا الحقائق برمتها في مسألة اسم النبي محمد "ص" باعتبار أن محمدا لا تتعدى كونها صفة أو كنية، وأن قُثم هو الاسم الأصلي له على حسب زعمهم، معتمدين على الرواية الضعيفة للسيرة الحلبية والحقيقة أن الواقع هو العكس تماما. حيث ورد في سير سيد البشر أن القُثم ورد على شكل صفة وليس اسما حقيقيا للرسول "ص".

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقد استرسل الطبري في ذكر أسماء الرسول التي كانت ترمز لصفاته "ص" حتى وصل إلى قُثم فيقول (ومنها المتوكل والفاتح، الخاتم الضحوك القتال والأمين والمصطفى والرسول والنبي والأمي والقُثم ومعلوم أنه أكثر هذه الأسماء صفات...)، (أحمد بن عبد الله بن أبي بكر الطبري، 2011، ص49.)

كما أكد جواد على أن قُثم مجرد كنية للرسول (جواد علي، 1961 ص ص 101-102.) ولا ترتقي لأن تكون اسمه "ص"، ذلك أن اسم الرسول الحقيقي هو محمدا وهو أشهرها وأوضحها.

وفي شرح معنى قُثم يرى الطبري أنه يحتمل معنيين:

أحدهما العطاء يقال قُثم له يقثم قثاما إذا أعطاه عطاءا وكان الرسول "ص" أجود من الريح المرسلة والثاني من القُثم ويقال للرجل الجامع للخير قثوم وقثم، وهكذا تكون قثم مجرد صفة للرسول وتبطل أكذوبة جعيط التي أنشأها المستشرقين وأعاد إنتاجها من جديد، والتي لم تصمد بدورها أمام الحقائق التاريخية التي حاول جعيط طمسها.

فعن محمد بن جبير بن مطعم قال أبيه قال: قال رسول الله "ص" (إن لي اسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي). (بن القيم الجوزية، 2009، ص28.). وبذلك تسقط مزاعم جعيط وهرطقاته الاستشراقية حول السيرة النبوية.

5-2-3- قراءة جعيط للحديث الشريف:

اقدم جعيط في كتابه تاريخية الدعوة المحمدية في مكة خلال القسم الأول منه (جذور الإسلام) على قراءة تقييمية تفحصية للمصادر الأساسية للسير، كسيرة ابن إسحاق والواقدي وغيرهم، ثم استرسل أثناء شرحه وتحليله في تقييم حقيقة تاريخية الحديث النبوي، حيث شكك كغيره من المستشرقين في تأرخيه وطعن في مسألة اهتمام المسلمين به في العهد الأول من الإسلام، قائلا (ليس من الثابت أن التاريخ النبوي متأت من البحث في الحديث خلال القرن الأول والربع الأول من القرن الثاني ... والأقرب أن الاهتمام بالحديث لم يكن موجودا في القرن الأول) (هشام جعيط، 2008، ص 37).

لم يتوان جعيط أن يحيل القارئ لهذه الفقرة إلى المستشرق (شاخت)، وهذه مفارقة أخرى من مفارقات جعيط الكثيرة النابعة من تناقض أرائه، كيف له أن ينتقد تعنت المستشرقين مع الإسلام بالنيل من أصالة الفكر الإسلامي من جهة، ثم يأخذ من مصادرهم أخذا صريحا لكي يؤسس لقراءة جديدة للتاريخ الإسلامي، فمن الواضح أن قراءته هذه ما هي إلا إعادة إنتاج للفكر الاستشراقي الذي قام بتقويضه من قبل.

هذه الفكرة التي طرحها جعيط التي تتعلق بعدم اهتمام المسلمين بالحديث في القرن الأول أو الثاني للإسلام هي فكرة استشراقية المنبع بداية من (شاخت) الذي أخذ منه جعيط هذا الرأي، حيث عمل (شاخت) في كتابه (أصول الشريعة المحمدية) على التشكيك في حقيقة تدوين الحديث النبوي خلال العهد الأول للإسلام في القرن الأول منه، كما شكك في صحة الأحاديث برمتها (محمد مصطفى الأعظمي، 1989، ص27).

واستبعد أن يكون للحديث صدى أو وجود خلال القرنين الأول والثاني للإسلام إلى جانب (جولد زيهر) الذي نفى هو الآخر نفيا قاطعا أي صلة للحديث بالقرون الأولى للإسلام، فأرجعه إلى المراحل الناضجة للتاريخ الإسلامي (فاطمة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هدى نجا، 1993، ص 119.) مؤكدا أن المسلمين لم يكن يعنيهم الحديث في المرحلة الأولى للإسلام. إضافة إلى المستشرقين (موير وروبسون) اللذان كان لهما الموقف نفسه حيث يرى (موير) أنه لا يمكن أنه يكون اهتمام ووجود للحديث قبل القرن الثاني من الإسلام، كما أنكر أنه لا توجد مجموعة كتابية للسنة خلال القرنين الأولين للإسلام، إضافة إلى (روبسون) الذي تبني الموقف نفسه. (حاكم عبيسان لمطيري، 2002، ص 111).

والواضح أن جعيط لم يقم بأي عمل يذكر سوى اجترار الفكر الاستشراقي البغيض حول التاريخ الديني للإسلام، وأن قراءته الجديدة هذه لا تمت للجدّة بصلة، فهي لا تخرج عن دائرة الشكوك والطعون في الإسلام التي زرعها المستشرقون منذ عقود عديدة.

ويمكن الرد على أن أباطيل جعيط والمستشرقين في هذا الصدد، بأن المسلمين قد اهتموا بالحديث الشريف منذ العهد الاول للإسلام، حيث صحت الأخبار من الناحية التاريخية أن الصحابة كانوا مهتمين بالأحاديث وتدوينها في عهد الرسول "ص" مثل تدوين الصحيفة الصادقة التي قام بتدوينها كل من عبد الله بن عمرو بن العاص، وبقي الاهتمام بالحديث قائم حتى زمن الخلفاء الراشدين (خالد علال الكبير، 2008، ص 154).

وهذا يثبت أن التدوين والتأريخ للحديث النبوي بدأ منذ حياة الرسول "ص" أي منذ الفترات المتقدمة من تاريخ الإسلام خلال القرن الأول، وقد ذكرت العديد من المصادر التاريخية عناوين عدة كتب في الحديث النبوي ترجع أسماء مؤلفيها لعلماء القرن الأول الهجري، وقد ذكر بعضها ابن النديم في الفهرست (حاكم عبيسان لمطيري، 2002، ص 113) الذي تبني الموقف نفسه.

وهذا تأكيد على أن الاصول الأولى للحديث الشريف الذي يرجع إلى بداية الإسلام، إلا ان جعيط أغفل كل المصادر والحقائق التاريخية العربية الصحيحة، واتجه إلى المستشرقين لتأريخ الحديث وكانت نتيجة ذلك هو إعادة صياغة لافتراءات المستشرقين حول التاريخ الإسلامي.

6- خاتمة:

تخلص هذه الدراسة لعدة نتائج تتمثل فيما يلي:

من الواضح أن مواقف هشام جعيط الناقدة للاستشراق والمستشرقين، ناتجة عن توجسه المفرط من اتهام قراءته الحداثية للسيرة النبوية وفق خلفية استشراقية. حيث وردت قراءته الجديدة للسيرة النبوية على شكل طعون في مختلف جوانب سيرة الرسول "ص"، الامر الذي اكسبها طابع التشكيك في حقائق نسبه وتاريخ مولده وبعثته وحتى وفاته، والطعن في اسمه الشريف معتبرا ان محمد مجرد صفة من صفاته استقاها الرسول من التراث السرياني واليهودي، في حين اقر جعيط ان قثم هو الاسم الأصلي للرسول الذي سمي به ساعة ولادته وهذه فرية استشراقية تم تفنيدها من قبل، الى جانب طعنه في مسالة اصالة تاريخ الحديث ومسألة الاعتناء به من طرف المسلمين، حيث توضح هذه الدراسة ان كل الاستنتاجات التي وصل اليها جعيط هي نتيجة اعتماده على الروايات والاحاديث الضعيفة والمتروكة، التي اعتمد عليها المستشرقون من قبل كرواية السير الحلبية المشككة في حقيقة اسم النبي "ص".

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعليه يمكننا القول ان قراءة هشام جعيط للسيرة النبوية والحديث الشريف لا تنم عن أصالة تفكير، ولا عن طرح تجديدي خالص، إنما هو امتداد للفكر الاستشراقي، فعلى الرغم من وعوده المتكررة الداعية لفهم جديد لسيرة الرسول"ص" وفق منهج عقلي تفهمي، إلا أن مشروعه الرامي لتحديث التاريخ التراث الإسلامي النبوي ما هو إلا امتداد للأفق النظري الاستشراقي وإعادة إحياء مواقف المستشرقين الطاعنة في حقيقة السيرة المحمدية والمشككة في أصالة الحديث النبوي الشريف.

7- وعليه نتوصل إلى هذه النتائج:

- تأسيس قراءة جديدة وفعالة تتناسب مع روح السيرة النبوية وأصالتها، باعتبارها محورا هاما في بناء الحضارة الإسلامية، ومحركا للمجتمع الإسلامي ماضيه وحاضره.
- أن ينطلق مشروع التجديد للفكر الإسلامي من مصادر أصيلة ومتينة، والابتعاد عن كل ما هو ضعيف طاعن ومشكك في صحة التراث الإسلامي.
- أن تكون القراءة الحداثية للسيرة المحمدية العطرة، قراءة إبداعية وليدة البيئة الإسلامية نابعة من الاعتقادات، التي من شأنها النهوض بالمجتمع الإسلامي.
- التخلص من التبعية الفكرية، من أجل بناء قراءة جديدة للتراث الإسلامي الديني، متحررة من التبعية، والتقليد لكل ما هو غربي وفكر استشراقي.

- قائمة المراجع:

إبراهيم السكران: (2014)، التأويل الحداثي للتراث التقنيات والاستمدادات، ط1، دار الحضارة، الرياض.

ابن القيم الجوزية: (2009)، زاد المعاد في هدي خير العباد، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت.

أحمد بن عبد الله بن أبي بكر الطبري: (2011، خلاصة سير سيد البشر، ط1، دار المودة، القاهرة.

أحمد بن محمد القطلاني: (2004)، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ج1، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت.

أحمد بن محمد القطلاني:(2010)، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ج2، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت.

أكرم ضياء العمري: (د.ت)، موقف الاستشراق من السنة النبوية، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة.

بن ميلاد لطفي: (2009)، الاستشراق في فكر هشام جعيط، الندوة الدولية حول الاستشراق، 8-10 ديسمبر، تونس.

جواد علي: (1961)، تاريخ العرب في الإسلام السيرة النبوية، ط1، مطبعة الزعيم، بغداد.

حاكم عبيسان لمطيري: (2002)، تاريخ تدوين السنة وشبهات المستشرقين، مجلس النشر العلمي، ط1، الكويت.

خالد علال الكبير: (2008)، أباطيل وخرافات حول القرآن الكريم والنبي محمد، الجزائر.

عبد الله محمد الأمين النعيم: (1997). الاستشراق في السيرة النبوية دراسة تاريخية لاراء (وات بروكلمان-فلهاوزن) مقارنة بالرؤية الإسلامية، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي (د.ب.ن).

فاطمة هدى نجا: (1993)، نور الإسلام وأباطيل الاستشراق، ط1، دار الإيمان، لبنان.

محمد المازوغي: (2012)، الاستشراق والمستشرقين في فكر هشام جعيط، ط1، منشورات الجمل، بيروت.

محمد بن يوسف الصالحي: (1997)، سبل الهدي والرشاد في سير خير العباد، ج1، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة.

محمد مصطفى الأعظمي: (1989)، دراسات في الحديث النبوي الشريف وتاريخ تدوينه، ط3، السعودية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نذير حمدان: (1981)، الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين، ط1، مطبوعات سلسلة دعوة الحق، القاهرة،
هشام جعيط: (1999)، الوحي والقرآن والنبوة، ج1، ط1، دار الطليعة، بيروت.
هشام جعيط: (2008)، أوروبا والإسلام صدام الثقافة والحداثة، ط3 دار الطليعة، بيروت.
هشام جعيط: (2008)، تاريخية الدعوة المحمدية في مكة، ج2، ط1، دار الطليعة، بيروت.
هشام جعيط: (2008)، في السيرة النبوية تاريخية الدعوة المحمدية في مكة، ج2، ط1 دار الطليعة، بيروت.
هشام جعيط: (د.ت)، مسيرة محمد في المدينة وانتصار الاسلام، ج3، دار الطليعة، بيروت.
يونس محمد الذرعاني غالية: (2010)، السيرة النبوية في كتابه المستشرقين الانجليز، رسالة ماجستير، جامعة قار يونس، بن غازي ليبيا.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com